ظاهر البطلان لان قول القائل ان العبد صار هو الرب كلام متناقض في نفسه بل ينبغي ان
ينزه الرب سبحانه عن ان يجري اللسان في حقه بامثال هذه المحالات ونقول قولا مطلقا
ان قول القائل شيئا صار شيئا آخر محال على الاطلاق لانا نقول اذا عقل زيد وحده وعمرو
وحده ثم قيل ان زيدا صار عمروا واتحد به ولا يخلو عند الاتحاد اما ان يكون كلاهما موجودين
او كلاهما معدومين او زيد موجودا وعمرو معدوما او بالعكس ولا يمكن قسم وراء هذه الاربعة
فان كانا موجودين فلم يصر احدهما عين الآخر بل عين كل واحد منهما موجودا وانما الغاية ان يتحد
مكانهما وذلك لا يوجب الاتحاد فان العلم والارادة والقدرة قد تجتمع في ذات واحدة ولا يتباين
محالها ولا يكون القدرة هي العلم ولا الارادة ولا يكون قد اتحد البعض بالبعض وان كانا معدومين
فما اتحدا بل عدما ولعل الحادث شيء ثالث فان كان احدهما معدوما والآخر موجودا فلا اتحاد
اذ لا يتحد موجود بمعدوم فالاتحاد بين شيئين مطلقا محال وهذا جار في الذوات المتماثلة فضلا
عن المختلفة فانه يستحيل ان يصير هذا السواد ذاك السواد كما يستحيل ان هذا السواد ذاك البياض
او ذلك العلم والتباين بين العبد والرب اعظم من التباين بين السواد والعلم فاصل الاتحاد اذا باطل
وحيث يطلق الاتحاد ويقال هو هو لا يكون الا بطريق التوسع والتجوز اللائق بعبارة الصوفية و
الشعراء فانهم لاجل تحسين موقع الكلام من الافهام يسلكون سبيل الاستعارة كما يقول الشاعر
انا من اهوى ومن اهوى انا • وذلك مقبول عند الشاعر فانه لا يعني به انه هو تحقيقا بل
كانه هو فانه مستغرق الهم به كما يكون هو مستغرق الهم بنفسه فيعبر عن هذه الحالة بالاتحاد على سبيل
التجوز وعليه ينبغي ان يحمل قول ابي يزيد رحمه الله حيث قال انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من
جلدها فنظرت فاذا انا هو ويكون معناه ان من ينسلخ من شهوات نفسه وهواها وهمها فلا
يبقى فيه متسع لغير الله ولا يكون له همة سوى الله واذا لم يحل في القلب الا جلال الله وجماله
حتى صار مستغرقا به يصير كانه هو لا انه هو تحقيقا وفرق بين قولنا كانه هو وبين قولنا هو هو
ولكن يعبر بقولنا هو هو عن قولنا كانه هو كما ان الشاعر تارة يقول كاني من اهوى وتارة يقول
انا من اهوى وهذه مزلة قدم فان من ليس له قدم راسخ في المعقولات ربما لم يتميز له احدهما
عن الآخر فينظر الى كمال ذاته وقد تزين بما تلألأ فيه من حلية الحق فيظن انه هو فيقول انا الحق وهو
غالط غلط النصارى حيث راوا ذلك في عيسى عليه السلام فقالوا هو الاله بل غلط من ينظر الى مرآة
قد انطبع فيها صورة متلونة فيظن ان تلك الصورة هي صورة المرآة وان ذلك اللون لون المرآة
هيهات تلك المرآت في ذاتها لا لون لها وشانها قبول صور الالوان على وجه يتخايل على الناظرين
الى ظاهر الامور ان ذلك هو صورة المرآة حتى ان الصبي اذا راى انسانا في المرآة ظن ان الانسان
في المرآة كذلك القلب خال عن الصور في نفسه وعن الهيئات وانما هيئته قبول معاني الهيئات
والصور فما يحله يكون كالمتحد به لا انه متحد به تحقيقا ومن لا يعرف الزجاج والخمر اذا راى زجاجة فيها خمر

٤

١٦٨

لم يدرك تباينهما فتارة يقول لا خمر وتارة يقول لا زجاجة كما عبر عنه الشاعر حيث قال

رق الزجاج ورقت الخمر   فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح   وكانما قدح ولا خمر

وقول من قال منهم انا الحق فاما ان يكون معناه معنى قول الشاعر انا من اهوى واما ان يكون
قد غلط كما غلط النصارى في ظنهم اتحاد اللاهوت بالناسوت وقول ابي يزيد ان صح عنه سبحاني
ما اعظم شاني اما ان يكون ذلك جاريا على لسانه في معرض الحكاية عن الله عز وجل كما لو سمع
وهو يقول لا اله الا انا فاعبدني لكان يحمل على الحكاية واما ان يكون قد شاهد كمال حظه
من صفة القدس على ما ذكرنا في الترقي بالمعرفة عن الموهومات والمحسوسات وبالهمة عن الحظوظ
والشهوات فاخبر عن قدس نفسه وقال سبحاني وراى عظم شانه بالاضافة الى عموم الخلق
فقال ما اعظم شاني وهو مع ذلك يعلم ان قدسه وعظم شانه بالاضافة الى الخلق ولا نسبة له
الى قدس الرب تعالى وعظم شانه ويكون قد جرى هذا اللفظ في سكره وغلبات حاله فان الرجوع
الى الصحو واعتدال الحال يوجب حفظ اللسان عن الالفاظ الموهمة وحال السكر ربما لا يحتمل ذلك
فان جاوزت هذين التاويلين الى الاتحاد فذلك محال قطعا ولا تنظر الى مناصب الرجال
حتى تصدق بالمحال بل ينبغي ان تعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال واما القسم الخامس وهو الحلول
فذلك كان يتصور ان يقال ان الرب حل في العبد او العبد حل في الرب تعالى رب الارباب
عن قول الظالمين علوا كبيرا وهذا لو صح لما اوجب الاتحاد ولا ان يتصف العبد بصفات
الرب فان صفات الحال لا تصير صفة للمحل بل صفة للحال كما كان ووجه استحالة الحلول لا يعرف
الا بعد فهم الحلول فان المعاني المفردة اذا لم تدرك بطريق التصور لم يمكن ان يعلم نفيها او اثباتها
فمن لا يدري معنى الحلول لا يدري ان الحلول موجود او محال فنقول المفهوم من الحلول امران احدهما
النسبة التي بين الجسم وبين مكانه الذي يكون فيه وذلك لا يكون الا بين جسمين فالبريء
عن معنى الجسمية يستحيل في حقه ذلك والثاني النسبة التي بين العرض والجوهر فان العرض يكون
قوامه بالجوهر وقد يعبر عنه بانه حال فيه وذلك محال على كل ما قوامه بنفسه فدع عنك ذكر الرب
تعالى في هذا المعرض فان كل ما قوامه بنفسه يستحيل ان يحل فيما قوامه بنفسه الا بطريق المجاورة
الواقعة بين الاجسام ولا يتصور الحلول بين عبدين فكيف يتصور بين العبد والرب
واذا بطل الحلول والانتقال والاتحاد والاتصاف بامثال صفات الله تعالى على سبيل الحقيقة
لم يبق لقولهم الا ما اشرنا اليه في التنبيهات وذلك يمنع من اطلاق القول بان معاني اسماء الله
تصير اوصافا للعبد الا على نوع من التقييد خال عن الابهام والا فمطلق هذا القول يوهم فان قلت
فما معنى قوله ان العبد مع الاتصاف بجميع ذلك سالك لا واصل فما معنى السلوك وما معنى الوصول
فاعلم ان السلوك هو تهذيب الاخلاق والاعمال والمعارف وذلك اشتغال بعمارة الظاهر و

شانه

تنبيها

Copyright © King Saud University